حَيَاةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

مُحَمَّدٌ اليَتِيمُ



سفير

حَيَاةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

مُحَمَّدٌ اليَتِيمُ

كتبها
سمير حلبي

رسوم
عبد المرضى عبيد

رقم الإيداع ٢٠٠٦٣ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 361 - 193 - 0
جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد

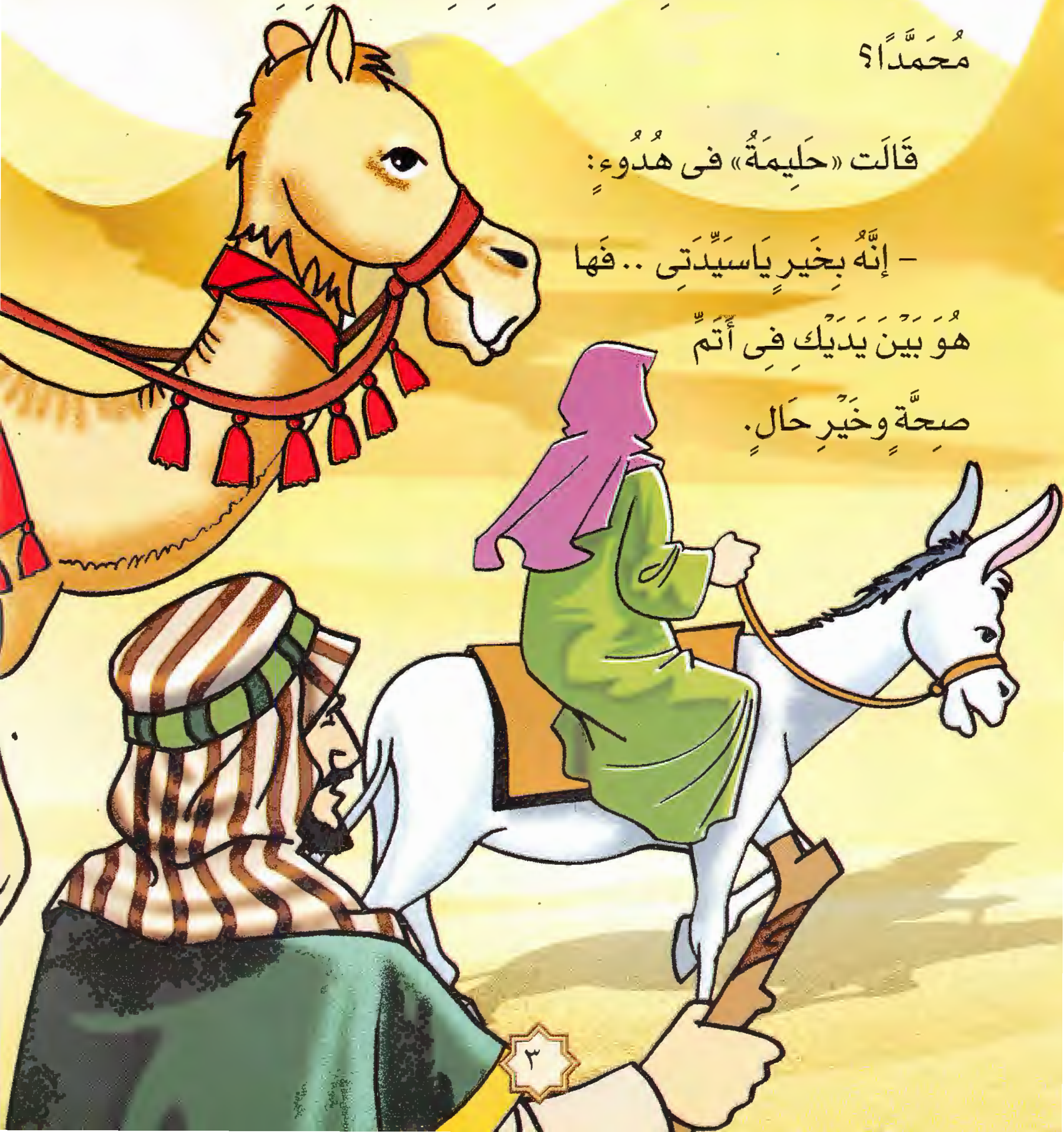


عَادَتْ «حَلِيمَةُ» إلَى «مَكَّةَ» وَهِىَ تَحْمِلُ مَعَهَا «محمدًا» لِتُعِيدَهُ إلَى أُمِّهِ، وكَانَتْ دَهْشَةُ السَّيِّدَةِ «آمنَةَ» شَدِيدَةً حِينَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا «حَلِيمَةُ» وَمَعَهَا «مُحَمَّدٌ»، فَنَظَرَتْ إلَيْهَا فِى عَجَبٍ وَقَالَتْ:

- ماذَا حَدَثَ يَا «حَلِيمَةُ»؟ لَقَد جِئْتِ قَبْلَ مَوْعِدكِ! مَاذَا أصَابَ مُحَمَّدًا؟

قَالَت «حَلِيمَةُ» فى هُدُوءٍ:

- إنَّهُ بِخَيرٍ يَاسَيِّدَتِى .. فَهَا هُوَ بَيْنَ يَدَيْكِ فِى أَتَمِّ صِحَّةٍ وخَيْرِ حَالٍ.



سَأَلَتْها «آمِنَةُ» وَهِيَ لا تُخْفِي لَهْفَتَها وَقَلَقَها :

- مَاذَا حَدَثَ؟! .. أَخْبِرِينِي يا «حَلِيمَةُ»!!

قَالَتْ «حَلِيمَةُ» وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى «مُحَمَّدٍ» فِي حُبٍّ وَحَنَانٍ:

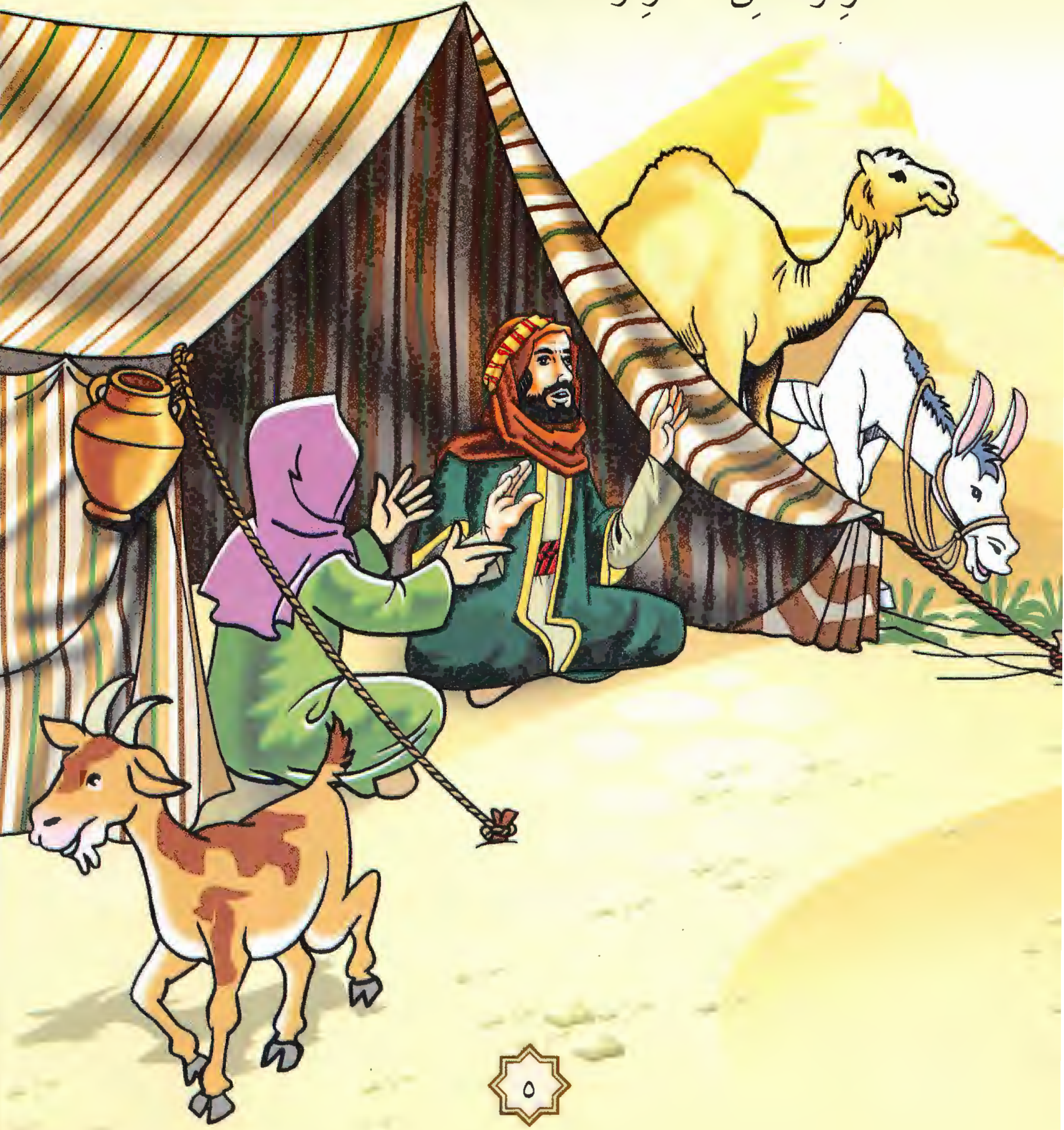
- فِي الحَقِيقَةِ لَقَدْ حَدَثَ شَيءٌ عَجِيبٌ لِمحَمَّدٍ دَفَعَنِي إِلَى التَّعْجِيلِ بِإِعادَتِهِ إِلَيْكِ.



نَظَرَتْ «آمنَةُ » إلَيهَا فِى دَهْشَةٍ، بَينَمَا رَاحَتْ «حَلِيمَةُ» تَقُولُ:

- لَقَدْ كُنْتُ جَالِسَةً مَعَ زَوْجِى «الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى»، وَفَجْأَةً دَخَلَ علىَّ ابْنِى وَهُوَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ:

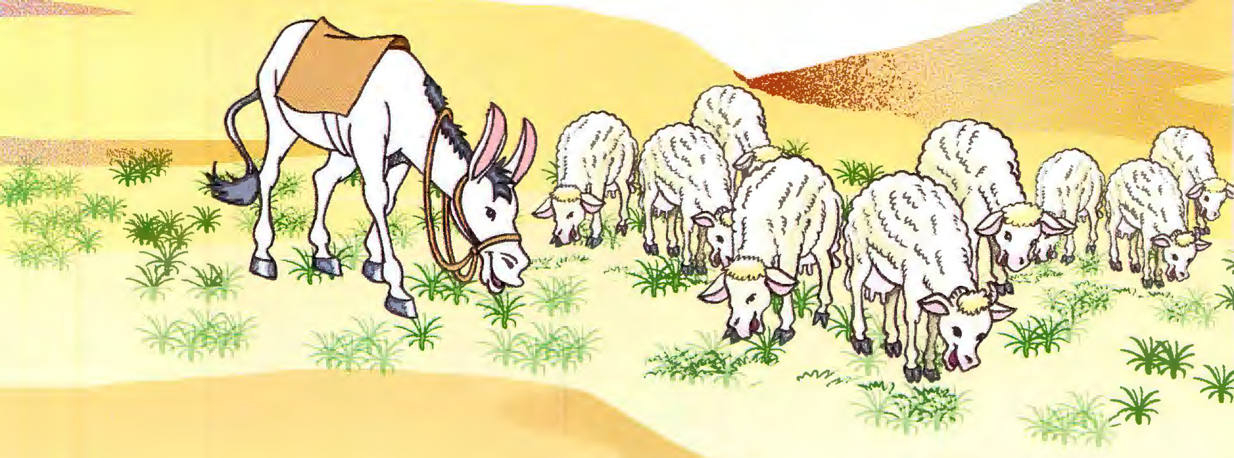
- أَدْرِكُوا أَخِى .. أَدْرِكُوا «مُحَمَّدًا»!!



فَلَمَّا سَأَلْنَاهُ عَمَّا حدَثَ أَخْبَرَنَا أَنَّه رَأَى رَجُلَينِ يَلْبَسَانِ ثِيَابًا بَيْضَاءَ، قَدْ أَخَذَاهُ فَأَرْقَدَاه عَلى الأرضِ، وشَقَّا صَدْرَهُ، ثُمَّ أَخرَجَا شَيئًا مِنْهُ.

أَكْمِلِي يا «حَلِيمَةُ».

- أَسْرَعْتُ أَنَا وَزَوجِي عَلَى الفَوْرِ إِلَى «مُحَمَّدٍ»، فَوَجَدْنَاهُ قَدْ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ مِنَ الخَوْفِ والفَزَعِ، فَأَخَذْنَا نُطَمْئِنُهُ وَنُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِهِ،



حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الخَوْفُ، ثُمَّ رَأَيْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَيْكِ، فَإِنَّا لا نَأْمَنُ عَلَيْه، وَنَخَافُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِسُوءٍ أَوْ يُصِيبَه مَكْرُوهٌ.

اقْتَرَبَت «آمِنَةُ» مِن «مُحَمَّدٍ»، ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تَحْتَضِنُه بِحُبٍّ وَحَنَانٍ:

- واللَّه إنَّ ابْنِي هَذَا مُبَارَكٌ.. وَقَدْ رَأَيتُ فِيهِ مِنَ الدَّلائِلِ والبِشَارَاتِ مَا يَمْلأُ نَفْسِي رِضًا بِهِ وَأَمْنًا عَلَيْهِ.



وانْصَرفَتْ «حَليمَةُ» عائدةً إلَى دِيَارِ قَوْمِها، بَعْدَ أَنْ أَعَادَتْ «مُحَمَّدًا» إلَى أحْضَانِ أُمِّه.

أَرَادَتْ «آمِنَةُ» أَنْ تَأْخُذَ «مُحَمَّدًا» إلَى «المَدِينَةِ» لِزِيَارَةِ أَخْوَالِ أَبِيه مِنْ « بَنِى النَّجَّارِ»، وكَانَتْ فَرْحَةُ «مُحَمَّدٍ» غَامِرَةً وَهُوَ يَشْعُرُ بِحنَانِ أُمِّه وَحُبِّها لَهُ وَعَطْفِهَا عَلَيْه، فَلَمْ يُفَارِقْها لَحظَةً طُوَالَ تِلْكَ الرِّحْلَةِ الشَّاقَّةِ عَبْرَ الصَّحْراءِ الطَّوِيلَةِ المُوحِشَةِ، حَتَّى وَصَلُوا إلَى دِيَارِ «بَنِى النَّجّارِ»، وَهُنَاكَ اسْتَقْبَلَهُ الجَمِيعُ بِالوُدِّ والحَفَاوةِ، وَقَدْ وَجَدُوا فِيهِ العِوَضَ عَنْ أَبِيهِ الذى مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى وَحِيدَهُ.



انْقَضَتْ أَيَّامُ «آمِنَةَ» و«مُحَمَّدٍ» فِى المَدِينَةِ، فَقَرَّرَتِ العَوْدَةَ بِهِ إلَى «مَكَّةَ»، لَكِنَّهَا تُوفِّيَتْ فِى الطَّرِيقِ، وَدُفِنَتْ بِالقُرْبِ مِنَ «المَدِينَةِ».

وَعَادَ «مُحَمَّدٌ» وَحِيدًا إلَى «مَكَّةَ» بَعْدَ أَنْ فَقَدَ أُمَّهُ، يَبْكِى حُزْنًا لِفِرَاقِهَا، وَقَدْ تَرَكَ اليُتْمُ آثَارًا مُؤْلِمَةً مِنَ الحُزْنِ والأَسَى فِى قَلْبِهِ.



أَرَادَ «عَبْدُ المُطَّلِبِ» جَدُّ «مُحَمَّدٍ» ﷺ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ آلامَ اليُتْمِ وأَحْزَانَ الوَحْدَةِ، فَأَحَاطَهُ بِحُبِّهِ وَرِعَايَتِهِ، وَعَوَّضَهُ بِحَنَانِهِ وعِنَايَتِهِ عَنْ فَقْدِ أَبَوَيْهِ ، وَتَعَلَّقَ «مُحَمَّدٌ» بِجَدِّهِ، فَصَارَ لا يَكَادُ يُفَارِقُهُ حَتَّى فِي مَجالِسِهِ مَعَ كِبَارِ قَوْمِهِ فِي مُنْتَدَيَاتِ «قُرَيْشٍ» وَمَجالِسِها .

لكنَّ الأَيَّامَ كَانَتْ تُخْفِي أَحْزَانًا جَدِيدَةً لِمُحَمَّدٍ، فمَا لَبِثَ أَنْ تُوفِّي جَدُّهُ «عبدُ المطَّلِبِ»، وَلَمْ يَكُنْ عُمُرُ «مُحَمَّدٍ» قَدْ جَاوَزَ الثَّامِنَةَ، فَتَجَدَّدَتْ آلامُهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَعَرَفَتِ الأحزانُ طَرِيقَهَا إلَى قَلْبِهِ مِنْ جَدِيدٍ .

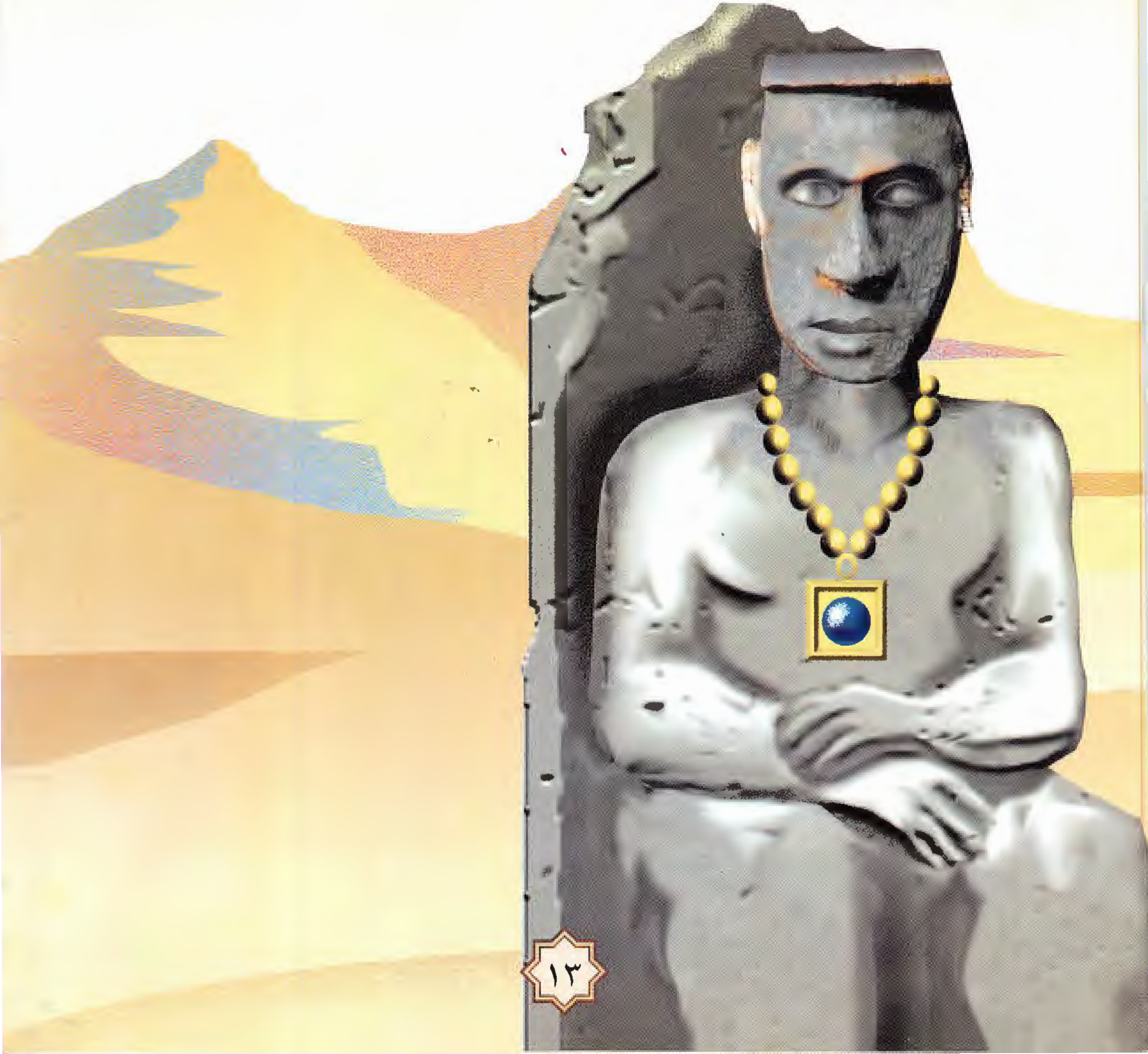




لَمْ يَكُنْ «مُحَمَّدٌ» يَميلُ إلَى حَياةِ اللَّهْوِ وَالفَرَاغِ الَّتِى اعْتَادَها أَقْرَانُه مِنْ فِتْيانِ «مَكَّةَ»، فَهُوَ لَمْ يَسْجُدْ يَوْمًا لِصَنَمٍ كَمَا يَفْعَلُ أَبْنَاءُ «مَكَّةَ»، وَلَمْ يُشَارِكْ يَوْمًا فِى مَجالِسِ اللَّهْوِ الَّتِى انْتَشَرَتْ فِى «مَكَّةَ» وَغَيْرِها، وإنَّما كَانَ مِثَالاً للصِّدْقِ والأَمَانَةِ وَحُسْنِ الخُلُقِ حَتَّى اشْتُهِرَ بِذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ «مَكَّةَ».



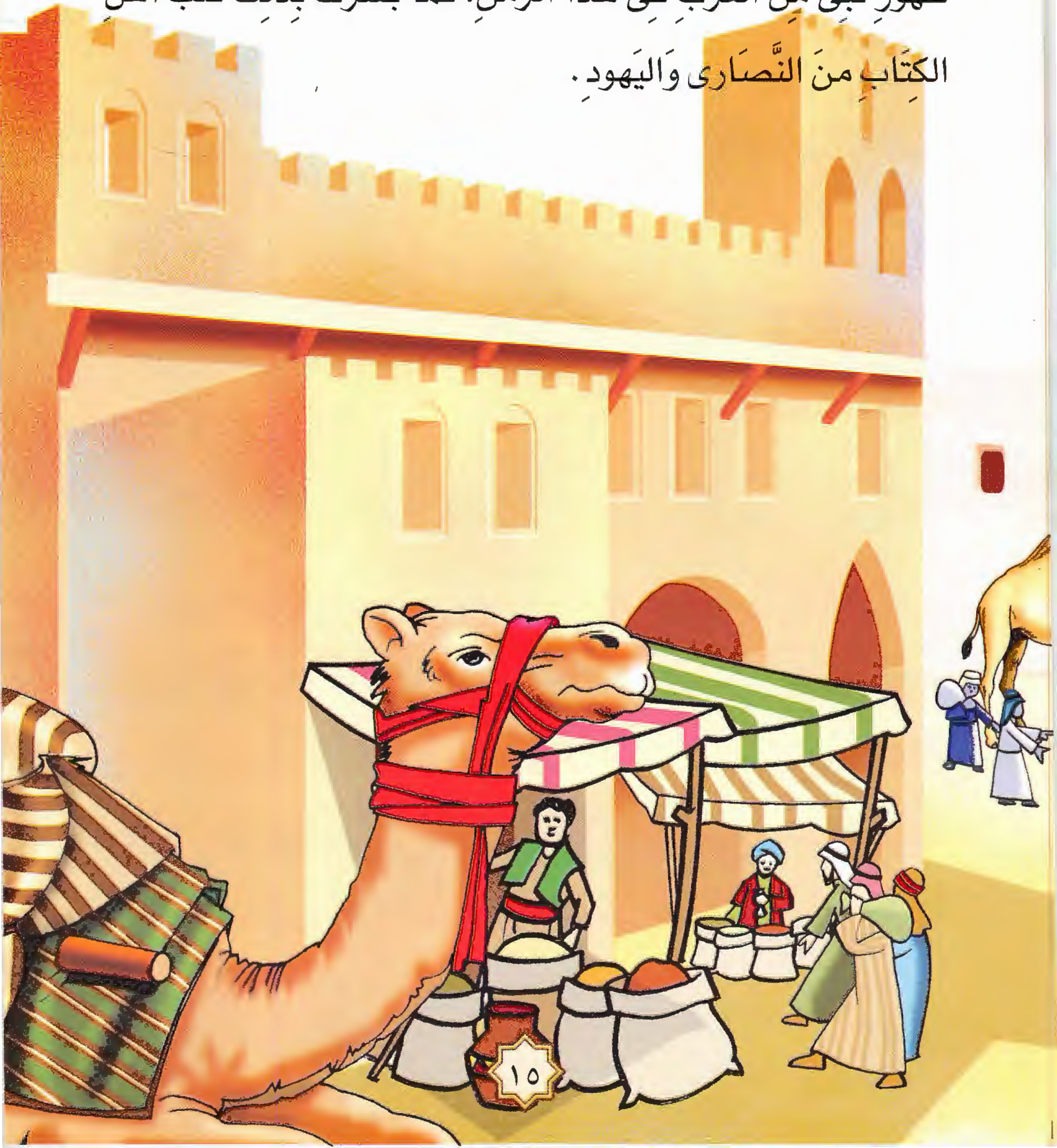
بَعْدَ وَفَاةِ «عَبْدِ المُطَّلِبِ» انْتَقَلَ «مُحَمَّدٌ» إِلَى بَيْتِ عَمِّهِ «أَبِى طَالِبٍ»، وكانَ «أَبُو طَالِبٍ» فَقِيرًا قَلِيلَ المَالِ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ بِفَضْلِ رِعَايَتِهِ هَذَا اليَتِيمَ المُبَارَكَ، وَوَجَدَ «مُحَمَّدٌ» فِى عَمِّهِ مِنَ الحُبِّ والرِّعَايَةِ مَا عَوَّضَهُ عَمَّا فَقَدَهُ مِنْ حَنَانِ جَدِّهِ لَهُ وَعَطْفِهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِ.



وَحِينَمَا بَلَغَ «مُحَمَّدٌ» الثَّانِيةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، أَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يَخْرُجَ بِتِجَارَةٍ إِلَى «الشَّامِ»، فَتَعَلَّقَ بِهِ «مُحَمَّدٌ»، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِى الخُرُوجِ مَعَهُ، فَرَقَّ لَهُ عَمُّهُ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ، وكَانَتْ تِلْكَ الرِّحْلَةُ هِىَ أَوَّلَ رِحْلَةٍ لِمُحَمَّدٍ إِلَى بِلادِ الشَّامِ، وَسَارَتِ القَافِلَةُ فِى طَرِيقِهَا تَعْبُرُ الصَّحَارِى والوِدْيَانَ حَتَّى وَصَلَتْ إلى مَشَارِفِ الشَّامِ بَعْدَ رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ شَاقَّةٍ.



تَوَقَّفَتِ القَافِلَةُ عِنْدَ أَحَدِ الأَدْيِرَةِ عَلَى أَطْرَافِ الشَّامِ، كَمَا تَعَوَّدَتْ قَوَافِلُ العَرَبِ أَنْ تَفْعَلَ فِى طَرِيقِ رِحْلَتِها كُلَّ عَامٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِم الرَّاهِبُ «بحيرَا» يَسْأَلُهم عَنْ أَخْبَارِ «مَكَّةَ»، وَأَخْبَرَهُم عَنْ قُرْبِ ظُهُورِ نَبِىٍّ مِنَ العَرَبِ فِى هَذَا الزَّمَنِ، كَمَا بَشَّرَتْ بِذَلِكَ كُتُبُ أَهْلِ الكِتَابِ مِنَ النَّصَارَى وَاليَهودِ.





وَحِينَمَا رَأَى «بُحيرا» «مُحَمَّدًا» عَرَفَهُ مِنْ بَعْضِ أَوْصَافِهِ التِى ذَكَرَتْهَا كُتُبُهم المُقَدَّسَةُ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ النَّبِىُّ المُنْتَظَرُ، فَسَأَلَ عَمَّنْ جَاءَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَلُّوهُ عَلَى عَمِّهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ هَذَا الغُلامَ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ، وَنَصَحَهُ بِالرُّجُوعِ بِهِ إِلَى «مَكَّةَ»، وَحَذَّرَهُ مِنَ اليَهُودِ، وَبَعْدَ رِحْلَةٍ قَصِيرَةٍ فِى بِلادِ «الشَّامِ» عَادَ «مُحَمَّدٌ» إِلَى «مَكَّةَ» لِيَبْدَأَ مَرْحَلَةً جَدِيدَةً مِنْ حَيَاتِهِ.

إنَّ خَيْرَ مَا يَقْرَؤُهُ أَبْنَاؤُنَا هُوَ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ التِى تَقُصُّ عَلَيْهِمْ حَيَاةَ خَيْرِ الْبَشَرِ وَأَكْمَلِ إِنْسَانٍ عَاشَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ. إذْ كَانَتْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا دِينًا وَدُنْيَا، عِلْمًا وَعَمَلاً، خُلُقًا وَسُلُوكًا، بُطُولَةً وَكِفَاحًا، رَحْمَةً وَعَدْلاً، عَفْوًا وَسَمَاحَةً.

بَعَثَهُ اللَّهُ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَحْيَا أُمَّةً وَأَقَامَ دَوْلَةً، وَرَبَّى رِجَالاً ، فَأَنَارَ الدُّنْيَا وَنَشَرَ الإِسْلاَمَ.

صدر منها :

6 222002 126784

سفير ١٥ شارع أحمد عرابي - المهندسين - ص.ب: ٤٢٥ الدقى - القاهرة ت: ٣٤٤٧١٧٣، فاكس: ٣٠٣٧١٤٠
Web Site: www.safeer.com.eg E-Mail:Safeer@link.com.eg